

أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم و أغراضه البلاغية

د. صاحب إسلام

The Interrogative Style in the Holy Quran and its Rhetorical Objectives

The Holy Qur'an is the last, divine, universal and comprehensive book of the guidance. This book is the biggest miracle of the Prophet. The miracles of the Qur'an have so many aspects to it. The most prominent among them is its literary, rhetorical and stylistic uniqueness. This rhetorical and interrogative style is not only very unique but also very fresh. This uniqueness can be found in the various chapters of the Qur'an. The point in all this is to convey and communicate the spirit of Islam in the most effective way and to grab the attention of the audience.

Teaching and learning take this interrogative style as the basic ingredient. It facilitates the learning process and explains the various difficult problems if any. It is also very Important to attract the attention of the audience in the most convenient and effective way and to keep them alert.

Discussion, dialogue and informed communication are the best way to impart knowledge in today's modern world, and the interrogative is inherent in it. The Qur'an adopted this style ١٤٠٠ years back and declared it the most significant way of rhetoric.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ففتح به قلوباً غلظاً
وعيوناً عمياً وآذاناً صماً، فأقام به حججاً. والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أوتي
جوامع الكلم ومصابيح الدجى وعلى آله وصحبه وعلماء أمته وهداة ملته الذين كابدوا
للدين وكافحوا أعداء الإسلام وثبتوا على الإيمان والإسلام وتحملوا في سبيله الشدائد والحن
وفازوا فوزاً عظيماً في الدنيا والآخرة، أما بعد:

فإن كتاب الله القرآن المجيد كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وهو كتاب حير العقول وسحر الفحول من الحكماء والعقلاء والعرفاء والفصحاء. عجز

البلغاء والفصحاء أن يأتي بمثله.

وكفى بمرتبة القرآن الكريم ومقامه الرفيع ووصفه الشامل شاهدا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلم بكتاب الله بعد الله سبحانه وتعالى حيث يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الدارمي من حديث حارث الأعور عن علي رضي الله عنه فقال: ﴿كتاب الله كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم﴾^١

إنطلاقاً من هدي النبي صلى الله عليه وسلم فإن القرآن المجيد هو كتاب رشد وهداية وكتاب تعليم وتعلم وكتاب يدعو الناس إلى الإيمان والتوحيد والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة والتمشي بالصراط المستقيم، لهذه الأغراض السامية نجد في القرآن الكريم الأساليب المتنوعة الكثيرة من تشبيه واستعارة وكناية وأمثال وغيرها من أنواع المعاني والبيان والبديع التي تؤثر المخاطبين والسامعين والقارئین ويتاثروا بالقرآن وبذلك يوفق الله الذين أراد دخولهم في الإيمان والإسلام.^٢

وقول وليد بن المغيرة في مدح القرآن الكريم مسجل في صفحات التاريخ إذ سمع من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم آيات من أوائل حم السجدة فقال: (والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلو وإنه ليحطم ماتحته).^٣

ولاشك أن طرق التعليم والدعوة مختلفة ومتعددة وخاصة في عصرنا الحاضر الذي هو عصر العلم والتقنية، يتوفر فيه وسائل وعوامل طرق التدريس.

ومن هذه الوسائل والأساليب، أسلوب الاستفهام الذي كثر تطبيقه في عصرنا هذا ويجب الطلاب والمتعلمين والمدعوين طريقة السؤال والجواب والبحث والمباحثة والنقاش والمناقشة.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى هذه الطريقة وهذا الأسلوب منذ أربعة عشر قرناً في القرآن الكريم حيث ورد في القرآن الكريم في مجالات شتى، ولو أراد أحد من العلماء أن يولف فيه لوسعه أن يولف مؤلفاً ضخماً في هذا المجال.

جاء أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم لأغراض متعددة ومعان متنوعة. وقبل كل شيء يلاحظ هذه النكتة أن الله سبحانه وتعالى إذا سأل الناس أو خاطبهم بطريق السؤال لا يراد منه المعنى الحقيقي للاستفهام، لأن الله تعالى لا يستفهم ولا يستعلم ولا يستخير الناس، معاذ الله، لأن الله ليس بجاهل ولا غافل، لأن العلم الكلي صفته تعالى وهو من صفاته الذاتية وكما أن العلم من صفاته الألوهية.

و أما الاستفهام من غير الله تعالى فيأتي بمعان كثيرة، نذكرها بالتفصيل: وفي هذا البحث نتحدث أولاً عن تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً ثم نذكر أدوات الاستفهام بالإجمال وفي الأخير نتحدث عن أقسام الاستفهام باعتبارات مختلفة ونذكر أمثلة توضح ذلك:

تعريف الاستفهام وأدواته

الاستفهام لغة:

هو مصدر استفهم، وهو طلب الفهم، وفهم الشيء بالكسر فهماً وفهامة أي علمه. وفلان فهم. واستفهمه الشيء أفهمه وفهمه تفهيماً. وتفهم الكلام فهمه شيئاً بعد شيء.^٤

الاستفهام اصطلاحاً:

الاستفهام استعمال ما في ضمير المخاطب وقيل طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإن كان تلك الصورة وقوع نسبة بين الشئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فالتصور^٥

أدوات الاستفهام:

وللإستفهام أدوات يتحقق بها الغرض من طلب الإفهام، وهذه الأدوات على نوعين:

النوع الأول: حروف الاستفهام،

النوع الثاني: أسماء الاستفهام.

النوع الأول: حروف الاستفهام:

فأما حروف الاستفهام، فهي حرفان:

١. الهمزة، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.^٦
٢. هل، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.^٧

النوع الثاني: أسماء الاستفهام:

وهي تسعة:

١. ما، مثال قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾.^٨
٢. من، كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.^٩
٣. متى، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.
٤. أين، مثل قوله تعالى: "أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ"^{١١}
٥. كم، كما في قول الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.^{١٢}
٦. كيف، يقول الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾.^{١٣}
٧. أيان: كما يقول الله تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾.^{١٤}
٨. أي، في قول الله تعالى: ﴿أَيُّ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.^{١٥}
٩. أي، كما في قول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.^{١٦}

أنواع الاستفهام:

الاستفهام ينقسم أولاً إلى حقيقي ومجازي:

النوع الأول: الاستفهام الحقيقي: هو ما يقصد به صاحبه معرفة ما يجله،

فالاستفهام الحقيقي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.^{١٧} أو هو طلب خير ما ليس عندك، أي طلب الفهم.

النوع الثاني: الاستفهام المجازي: هو ما يعلم فيه صاحبه جوابه ولكنه يقصد معنى

آخر يفهم من السياق بعد التأمل في النص. وأطلق عليه بعض النحويين الاستخبار.

ويفرق بعض العلماء: بأن الاستخبار ماسبق أولاً ولم يفهم كاملاً، فإذا سألت عنه

ثانياً كان استفهاماً.^{١٨}

وينقسم الاستفهام كذلك إلى خبر وإنشاء:

القسم الأول: الاستفهام بمعنى الخبر:

ويأتي هذا القسم على ضربين أحدهما نفي والآخر إثبات، فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير، لأن الأول يطلب به إنكار المخاطب، والثاني إقراره.

النوع الأول: استفهام الإنكار:

والمعنى فيه أن النفي وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾^{١٩} وكقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾^{٢٠} ويعطف على المنفي كقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^{٢١} أي لا يهدي، وهو كثير . وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾^{٢٢} أي أنت مالك أمر الناس قادر على التصرف فيهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه أي لست مالكا ولا قادرا على ذلك وزيدت همزة الاستفهام في ﴿أَفَأَنْتَ﴾ لاستطالة الكلام والحاصل^{٢٣} لست تنقذ من في النار، والأمثلة لذلك كثيرة.^{٢٤}

ويلاحظ أن الإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب أن ذلك المدعى ممتنع عليه، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾^{٢٥} لأن الإسماع الصم لا يدعيه أحد، بل المعنى أن إسماعهم لا يمكن، لأنهم أي الكفار والمشركين بمنزلة الصم والعمي، وقدم الإسماع على الفعل ولم يقل: أسمع الصم، وهذا أبلغ من إنكار الفعل.

وقد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بالمخاطب فيما ادعاه وقصد تكذيبه، كقوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾^{٢٦} وقوله تعالى ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾^{٢٧} وقوله تعالى: ﴿أَلَا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾^{٢٨}

والحاصل أن الإنكار قسمان: إبطالي وحقيقي، فالإبطالي أن يكون مابعدا غير واقع، ومدعيه كاذب كما ذكرنا، والحقيقي يكون مابعدا واقع وأن فاعله معلوم، نحو: ﴿اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^{٢٩} وقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾^{٣٠} وهو تبيكيت لهم^{٣١} وقوله

تعالى ﴿أَفَنُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾^{٣٢} وقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ...﴾^{٣٣} وقوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾^{٣٤} وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾^{٣٥} والاستفهام للإنكار والتوبيخ^{٣٦}

النوع الثاني: استفهام التقرير:

وهو حمل المخاطب والسامع على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده، وقد اختلف علماء النحو واللغة أن استفهام التقرير يستعمل هل أم لا؟ فذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ﴾^{٣٧} إلى أن هل تشارك الهمزة في معنى التقرير أو التوبيخ، ونقل أبوحيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون هل، وإنما يستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾^{٣٨} والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب.

فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾^{٣٩} استفهام عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتباراً للمعنى أي فشرحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلائه الضيق والخرج الذي يكون مع العمى والجهل^{٤٠} وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^{٤١} وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾^{٤٢} أي يعجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة في آيات الله والمعنى: أنك رأيت آثار صنع الله بالحكمة وسمعت الأخبار به متواترة، فقامت لك مقام المشاهدة^{٤٣}

والثاني نحو: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾^{٤٤}

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفى، وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات^{٤٥}.

ومن أمثله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^{٤٦} وقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^{٤٧} وجعل منه الرمنشري: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾^{٤٨} أي: أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصح لهم بما يتعبدون به ويترن عليهم^{٤٩}

و استفهام التقرير يأتي على احد عشر وجهها:

الأول: الإثبات مع الافتخار ويستعمل حين يكون مستفهم عنه المستفهم عنه أمراً عظيماً يفخر به المتكلم^{٥٠}، كقوله تعالى عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾^{٥١}

الثاني: الإثبات مع التوبيخ وهو حين يكون المستفهم عنه مستقبلاً حصوله^{٥٢}: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾^{٥٣} أي هي واسعة فهلها هاجرت فيها.

الثالث: إثبات مع العتاب: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^{٥٤} وفي يأن لغات: من العرب من يقول ألم يأن، وألم يشن مثل: يعن، ومنهم من

يقول ألم ينل لك باللام، ومنهم من يقول ألم ينل بضم الياء وأحسنهن التي أتى بها القرآن^{٥٥}

الرابع: التبكيت: كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^{٥٦} أي هو تبكيت هو التقرير والغلبة بالحجة للنصارى فيما ادعوه.

الخامس: التسوية: وهي المداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾^{٥٧} أي سواء عليهم الإنذار وعدمه، مجردة للتسوية مضمحلاً عنها معنى الاستفهام.

السادس: التعظيم وهو الإجلال والإكبار والتقدير: كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^{٥٨}

السابع: التهويل وهو لتحويل الأمر في نفس المخاطب وجعله عنده عظيم الوقع ليتقيه ويخافه وهو حين يراد الدلالة على هول المستفهم عنه^{٥٩}: نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾^{٦٠} وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾^{٦١} وقوله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^{٦٢} تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه.

الثامن: التسهيل والتخفيف: كقوله تعالى: ﴿مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾^{٦٣} أي: أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولومصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم فيه^{٦٤}

التاسع: التفجع: أن يوجع الإنسان بشئ يكرم عليه فيعدمه نحو قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^{٦٥}

العاشر: التكثير: وهو الذي يدل على التكثير لتعظيم أو التحويل في أي معنى من المعاني أو صورة من الصور نحو قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾^{٦٦}
 الحادي عشر: الاسترشاد: هو من الرشد بمعنى هداية الخلق إلى مصالحهم وهو نقيض الضلال نحو قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾^{٦٧} والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين، وإنما فرق بين العبارتين أدبا، وقيل هي هنا للتعجب إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه أو من عصيان الله من يستخلفه في أرضه وينعم عليه بذلك وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعا^{٦٨} أو هو سؤال استفسار واستعلام عن وجه الحكمة في خلق آدم عليه السلام والبشر، كأنهم يقولون ياربنا: ما الحكمة في خلق هؤلاء الناس، مع أن منهم من يفسدون في الأرض ويسفك الدماء^{٦٩}

القسم الثاني: الاستفهام بمعنى الانشاء

الاستفهام بمعنى الإنشاء وهو يأتي على أوجه:

الأول: بمعنى مجرد الطلب والأمر: كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^{٧٠} أي أذكروا، وقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾^{٧١} أي أسلموا. وكقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^{٧٢} أي أحبوا. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^{٧٣} أي قاتلوا.

وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾^{٧٤} وقوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^{٧٥} أي: انتهوا، استفهام ومعناه أمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^{٧٦}، لما علم عمر رضي الله عنه أن هذا وعيد شديد زائد على معنى انتهوا قال: انتهينا.^{٧٧}

الثاني: النهي: كقوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^{٧٨} أي لا يغرك.
 وفي سورة التوبة ﴿أَتُخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾^{٧٩} بدليل ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ﴾^{٨٠}

الثالث: التحذير: وهو التخويف، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾^{٨١} أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم.

الرابع: الإرشاد والتوجيه والتذكير: هذه معاني ثلاثة تجتمع في سياق بلاغي واحد في أسلوب الاستفهام المجازي فهنا يراد بالاستفهام الإرشاد والتوجيه إلى أمر غير الذي تعودته المتكلم أو السامع كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾^{٨٢} الخامس: التنبيه: وهو لتنبيه المخاطب على أمر يغفل عنه وهو من أقسام الأمر، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^{٨٣} وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب، كما تقول للرجل: أمارى إلى هذا والمعنى والله أعلم: هل رأيت مثل هذا أورايت هكذا.^{٨٤}

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^{٨٥} يقول ألم تخبر عن الحبيشة وكانوا غزوا البيت وأهل مكة^{٨٦} وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^{٨٧} وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾^{٨٨} المعنى في ذلك كله: أنظر يفكر في هذه الأمور وتنبيه.

وهذه همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي، فصار الكلام تقريراً، فيمكن أن يكون المخاطب علم بهذه الصفة قبل نزول هذه الآية، ويجوز أن يكون لم يعرفها إلا من هذه الآية، ومعناه التنبيه والتعجب من حال هؤلاء، والرؤية هنا علمية، وضمنت معنى ما يتعدى إلى، فلذلك لم يتعد إلى مفعولين، وكأنه قيل: ألم ينته علمك إلى كذا.^{٨٩}

السادس: الترغيب: وهو تحريض على الشئ وتطمع فيه وإليه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^{٩٠} وكقوله تعالى ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^{٩١} بمعنى ألا أرشدكم إلى تجارة نافعة^{٩٢} وهذا أسلوب فيه ترغيب وتشويق.

السابع: التمني: وهو طلب أمر محبوب بمنتهى حصوله إمتناعاً تاماً أو شبه تام، إما لكونه مستحيلاً وإما لكونه ممكن لا يطمع كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ﴾^{٩٣} وكقوله تعالى ﴿قَالَ أَنَّى يُخَيِّرُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^{٩٤} أى كيف يعمر الله هذه القرية.^{٩٥} الثامن: الدعاء: وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفْعَاءُ مِنَّا﴾^{٩٦}

التاسع والعاشر: العرض والتحضيض، والفرق بينهما: أن الأول طلب برفق والثاني بشق، فالأول كقوله تعالى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل

فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح الله عنك فعند ذلك قال الصديق رضي الله عنه بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا ياربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفقه بنافعة أبداً فلذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته عائشة^{٩٧} وكقوله تعالى ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾^{٩٨}

ومثال الثاني: ﴿أَنْ أَنتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾^{٩٩}.

الحادي عشر: الاستبطاء: وهو حين يراد التعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه^{١٠٠} كقوله تعالى ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{١٠١}
الثاني عشر: الإيلاس: كقوله تعالى ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^{١٠٢} فأى طريق تسلكون في إنكاركم القرآن^{١٠٣}

الثالث عشر: الإيلاس: كقوله تعالى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^{١٠٤}
والرابع عشر: التهكم والاستهزاء كقوله ﴿أَصْلَاكَ تَأْمُرُكَ﴾^{١٠٥} وقد أدوا مرادهم هذا في صورة بديعة مشوبة بالتهكم واللوم معاً^{١٠٦} وكقوله تعالى ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾^{١٠٧}

والخامس عشر: التحضير: هو من الحضور وهو نقيض المغيب والغيبة كقوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَضُوكَ إِلَّا هُرُؤًا أَهْذًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^{١٠٨} أى في دعواه محقرين له أن تاتيه الرسالة^{١٠٩} وأيضاً على سبيل التنقيص والازدراء فقبحهم الله كما قال ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^{١١٠}

السادس عشر: التعجب: هو إنشاء غير طليى يعبر من خلاله المتكلم عن استعظام صفة في شئ ما، استحساناً لها أو استقباحاً كقوله تعالى ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدُءَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^{١١١} أي لم لا أرى الهدهد ههنا حيث كانت الطير تصعبه في سفره وتظله بأجنحتها فلما فصل سليمان عن وادي النمل ونزل في قفر من الأرض عطش الجيش فسألوه الماء وكان الهدهد يدلّه على الماء فلما لم يجده فقال: مالي لا أراه بأسلوب التعجب.^{١١٢}

السابع عشر: الاستبعاد: وهو ما يستبعد الحكم فيه ويكون حين ستبعد المتكلم ما بعد الأداة^{١١٣} كقوله تعالى: ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^{١١٤} أي كيف ومن أين لهم الذكرى.^{١١٥} أي يستبعد ذلك منه بعد أن جاءهم الرسول ثم تولوا .

الثامن عشر: التوبيخ: وهو حمل نفس المخاطب علي التفكير ودفعها إلى التأمل بأسلوب لطيف حتي تقتنع أنه ما كان ينبغي أن يقع ما وقع كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾^{١١٦} والجملة حالية: أي كيف ييغون غير دينه والحال هذا وطاع له طوعاً^{١١٧} وكقوله تعالى: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَالًا تَفْعَلُونَ﴾^{١١٨} استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على ما يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لم يكن قد فعله، أو ما لا يفعله، فهو إما كاذب وإما خلف وكلاهما مذموم، وحذف ألف الاستفهام مع حرف الجر تخفيفاً لكثرة استعمالها مع نحو: لَمْ وَمِمَّ وفيهم^{١١٩} وكقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾^{١٢٠}

والهمزة للإنكار والتعجب.^{١٢١} والاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء، يطاعون ويوالون بالحبّة والمناصرة وهم لهم عدو، عجا لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك.^{١٢٢}

الهوامش

- ١- رواه الدارمي، من كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن رقم الحديث: ٣٣٣٢، ورواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث: ٣٣٣٢.
- ٢- تتمة البيان لمشكلات القرآن، محمد أنور شاه الكشميري رح إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي ص: ١٥
- ٣- رواه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير رقم الحديث: ٣٨٧٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه
- ٤- مختار الصحاح، لزين الدين الرازي، باب الفاء، المادة: ف هـ م، ط: دارالفكر بيروت .
- ٥- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠ ص: ٥٩.
- ٦- سورة الفرقان: ٤٥.
- ٧- سورة الإنسان: ١.
- ٨- سورة ص: ٧٥.
- ٩- سورة البقرة: ٢٥٦.
- ١٠- سورة الملک: ٢٥.
- ١١- سورة الأنعام: ٢٢.
- ١٢- الاعراف: ٤.
- ١٣- التوبة: ٧.
- ١٤- الذاریات: ١٢.
- ١٥- آل عمران: ٤٧.
- ١٦- الرحمن: ١٣.
- ١٧- البلاغة الواضحة، علي الجازم و مصطفى امين، ص: ١٩٤.
- ١٨- فقه العربية، ابن فارس، ص: ١٥٢، ١٥١.
- ١٩- سورة الاحقاف: ٣٥.
- ٢٠- سورة سبأ: ١٧.
- ٢١- سورة الروم: ٢٩.

- ٢٢- سورة الزمر: ١٩
- ٢٣- صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسين محمد مخلوف، ط: ١٤٠٧/٣هـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، ص: ٥٨٧.
- ٢٤- يبحث في سورة الانعام: ١١٤، سورة الشعراء: ١١١، سورة المومنون: ٤٧، سورة النور: ٣٩، سورة ص: ٨، سورة الزخرف: ١٩، سورة الزخرف: ٤٥، سورة النمل: ٨٥، سورة ق: ١٥
- ٢٥- سورة الزخرف: ٤٠
- ٢٦- سورة الصافات ١٥٣
- ٢٧- سورة النجم: ٢١
- ٢٨- سورة النجم: ٢١
- ٢٩- سورة الصافات: ٩٥
- ٣٠- سورة الانعام: ٤٠
- ٣١- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف تفسر ابيضاوي، الشيخ عبدالله بن عمر البيضاوي
- ٣٢- سورة الصافات: ٨١
- ٣٣- سورة الشعراء: ١٩
- ٣٤- سورة النساء: ٢٠
- ٣٥- سورة النساء: ٢١.
- ٣٦- تفسير الجلالين، مكتبة محمد هاشم الكتي دمشق، ص: ١٠٧.
- ٣٧- سورة الشعراء ٧٦
- ٣٨- سورة الفجر: ٥
- ٣٩- سورة الانشراح: ١-٢
- ٤٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (النسفي) أبو البركات عبدالله النسفي ط/ دارالفكر، ج/ ٢/ ٣٦٥.
- ٤١- سورة الضحى: ٦-٧
- ٤٢- سورة الفيل: ٢
- ٤٣- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دارالسلام مصر ط: ١/ ١٤٠٥ ج: ١١/ ٦٦٨٧.
- ٤٤- سورة النحل: ٨٤
- ٤٥- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي دار الباز مكة المكرمة، ١٠٢/١

- ٤٦- سورة الزمر: ٣٦
- ٤٧- سورة الأعراف: ١٧٢
- ٤٨- سورة البقرة: ١٠٦
- ٤٩- الكشف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام جارالله محمد بن عمر الزمخشري المتوفى سنة: ٥٢٨هـ - ج: ١/ ١٧٦
- ٥٠ أسلوب الاستفهام وأغراضه، ص ١٨
- ٥١ سورة الزخرف: ٥١
- ٥٢ أسلوب الاستفهام وأغراضه، ص ١٨
- ٥٣- سورة النساء: ٩٧
- ٥٤- سورة الحديد: ١٦
- ٥٥- معاني القرآن للفراء، ج: ٣ ص: ١٢٤.
- ٥٦- سورة المائدة: ١١٦
- ٥٧- سورة يس: ١٠
- ٥٨- سورة البقرة: ١٥٥
- ٥٩ أسلوب الاستفهام وأغراضه، ص ١٨
- ٦٠- سورة الحاقة: ٢-١
- ٦١- سورة القارعة:
- ٦٢- سورة يونس: ٥٠
- ٦٣- سورة النساء: ٣٩
- ٦٤- الجلالين ص: ١٤١.
- ٦٥- سورة الكهف: ٤٩
- ٦٦- سورة الاعراف: ٤
- ٦٧- سورة البقرة: ٣٠
- ٦٨- الجامع لأحكام القرآن، الشيخ عبدالله محمد بن الاحمد الانصاري القرطبي، دارالفكر بيروت، ج: ١/ ٢٧٤.

- ٦٩- قيس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني، ط: دارالقلم دمشق، ط/ ٣ / ١٤٠٩هـ ج: ٢/ ٢٦
- ٧٠- سورة يونس: ٣ وتفسير السراج المنير: ج: ٣ ص: ٣٥٤.
- ٧١- سورة آل عمران: ٢٠ لفظه الاستفهام والمراد به الامر اي اسلموا: التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج: ج: ٣ ص: ١٧٧
- ٧٢- سور' النور ٢٢
- ٧٣- سورة النساء: ١١٥
- ٧٤- سور' النساء: ٨٢
- ٧٥ سورة المائدة: ٩١
- ٧٦ سورة الأنبياء: ٨٠، (: معالم التنزيلالمؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ج: (٣/ ص: ٩٤)
- ٧٧- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ج: ٦/ ص: ٢٩٢.
- ٧٨- سورة الانفطار: ٦. قال الاعمش: أغرك همزة الانكار. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي: المكتبة التجارية، مكة المكرمة ج: ٢١ ص: ٣٠٢
- ٧٩- سورة التوبة: ١٣
- ٨٠- المائدة: ٤٤
- ٨١- سورة المرسلات: ٦
- ٨٢- سورة يوسف: ٨٩
- ٨٣- سورة البقرة: ٢٥٨
- ٨٤- معاني القرآن للفراء إنتشارات ناصر خسرو إيران ط/ ١ / ١٧٠
- ٨٥- سورة الفيل: ١
- ٨٦- معاني القرآن ج/ ١ / ٢٩١.
- ٨٧- سورة الفرقان: ٤٥

- ٨٨- سورة البقرة: ٢٤٣
- ٨٩- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة الأولى، ج: ٢ ص: ٢٥٨
- ٩٠- سورة الحديد: ١١ والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي الطبعة ١/ ١٤١١ هـ - ج: ٢٧ / ٣٠٢
- ٩١- سورة الصف: ١٠
- ٩٢- التفسير المنير ج: ٢٨ / ١٧٦
- ٩٣- سورة الأعراف: ٥٣.
- ٩٤- سورة البقرة: ٢٥٩.
- ٩٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبع دار الفكر، ج: ٢-٣ ص: ٢٥٩.
- ٩٦- سورة الاعراف: ١٥٥.
- ٩٧- سورة النور: ٢٢ تفسير ابن كثير، دار الفكر، ط: ١٤٠٧ هـ ج: ٣ / ٢٧٧
- ٩٨- سورة التوبة: ١٣. وانظر: مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، ج: ١٥ ص: ٢٣٦
- ٩٩- سورة الشعراء: ١١
- ١٠٠- أسلوب الاستفهام وأغراضه، ص: ١٧
- ١٠١- سورة يس: ٤٨
- ١٠٢- سورة التكوين: ٢٦
- ١٠٣- السراج المنير ج: ٤ ص: ٤٩٥.
- ١٠٤- سورة طه: ١٧
- ١٠٥- سورة هود: ٨٧
- ١٠٦- الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي، ج: ١٠ ص: ٣٨٢.
- ١٠٧- سورة الصافات: ٩٢.
- ١٠٨- سورة الفرقان: ٤١
- ١٠٩- السراج المنير ج: ٢ ص: ٦٦٣.
- ١١٠- تفسير ابن كثير ج: ٣ ص: ٣٢٠
- ١١١- سورة النمل: ٢٠

- ١١٢- صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، دارالقرآن الكريم، بيروت، ط: ٤/ ١٤٠٢ ج: ٢/ ٤٠٦.
- ١١٣- أسلوب الاستفهام وأغراضه، ص ١٨
- ١١٤- سورة الدخان: ١٣
- ١١٥- السراج المنير للخطيب الشربيني: الطبعة الثانية، دارالمعرفة، بيروت. ج: ٣ ص: ٥٨٣
- ١١٦- سورة آل عمر/ أن ٨٣
- ١١٧- صفوة البيان لمعاني القرآن، ص: ٨٧.
- ١١٨- سورة الصف: ٢
- ١١٩- صفوة البيان ص: ٧٢١.
- ١٢٠- سورة الكهف: ٥٠
- ١٢١- تفسير السراج المنير: ج: ٢ ص: ٣٨٤
- ١٢٢- ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ابوبكر الجزائري، الطبعة الأولى، ص: ١٤٠٧ جدة، السعودية.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. السراج المنير للخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.
٣. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام مصر، ط: ١/١٤٠٥.
٤. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الباز مكة المكرمة.
٥. البلاغة الواضحة، علي الخازم ومصطفى امين.
٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي الطبعة ١/١٤١١هـ.
٧. التوقيف على مهمات التعاريف، الموقف: محمد عبد الرؤف المناوى، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت.
٨. الجامع لأحكام القرآن، الشيخ عبد الله محمد بن الأحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر بيروت.
٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام جابر الله محمد بن عمر الزمخشري.
١٠. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.
١١. الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي.
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي.
١٣. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، أبوبكر الجزائري، الطبعة الأولى، ص ١٤٠٧ جدة السعودية.
١٤. تمة البيان لمشكلات القرآن، محمد أنور شاه الكشميري رح إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي.
١٥. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ.
١٦. تفسير الجلالين، مكتبة محمد هاشم الكتي دمشق.

١٧. سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برهام الدارمي السمرقندي.
١٨. صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسين محمد مخلوف، ط: ١٤٠٧/٣هـ - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت.
١٩. صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٠. فقه العربية، ابن فارس.
٢١. فبس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني، ط: دار القلم دمشق.
٢٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبع دار الفكر.
٢٣. مختار الصحاح، لزين الدين الرازي.
٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (النسفي) أبو البركات عبد الله النسفي ط/دار الفكر.
٢٥. معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة.
٢٦. معاني القرآن للفراء.
٢٧. مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي.
٢٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي: المكتبة التجارية، مكة المكرمة.